

# من محاضرات الشهر

## النسيان لازم للحياة العقلية

### لزوم التذكر والحفظ

للككتور مظهر سيد الاستاذ محمد التريهبة بالقاهرة

يخطئ الناس كثيراً في فهم حقيقة النسيان ووظيفته الطبيعية كعملية عادية عقلية لا تختلف في شيء عن التذكر والتصور والتخيل وسائر ما يقوم به العقل، إذ يحسبونه نقصاً في العقل ينعمهم عن القيام بعمله على الوجه الأكل أو ضعفاً طبيعياً يجب أن يبنى المرء بمحيطه. بل يذهب الوهم ببعض الناس الى انه مرض مزمن فيقول الواحد منهم اذا استصى عليه تذكر اسم صديق له او كلمة كانت على طرف لسانه في اللحظة السابقة او حادث هام حدث في الماضي، « انه مصاب بداء النسيان »

يرجع هذا الاعتقاد الفاسد الى اسباب كثيرة اهمها اعتبار علماء النفس انفسهم من عهد افلاطون الى عهد قرسبجداً ان الذاكرة « ملكة » او قوة طبيعية موروثية يهبها الله لبعض الناس فيستطيعون تذكر كل شيء كاشفة احواله ما كانت. وان العقل كآلة التصوير الشسي بسجل كلما يقع عليه من المؤثرات سواء في ذلك الهام والتألق وتبقى آثارها فيه الى ما شاء الله فانك هما العقيدتان الثائمتان بين العامة. اما وقد اثبتت تجارب علم النفس الحديثة بطلان مذهب الملكات فلم تعد هناك قوة طامة تسمى « ذاكرة » وانما قوى خاصة، او ذاكرات لا عدد لها، كل منها يتناول نوعاً خاصاً من المؤثرات تعمل في حدود قوتها مستقلة كل الاستقلال عن باقي الانواع بحيث يصح ان يكون الفرد سريع الحفظ للاسماء ضعيفاً في تذكر الوجوه او التواريخ

فقد ينسى الانسان بسرعة بعض المؤثرات من الانواع التي يكون استمداده الطبيعي فيها ضعيفاً. ونحن كذلك لان لم بفكرة تشبيه العقل بآلة تصوير النفس، لان استمداد العقل محدود فلا يستطيع ان يحوي ما يزيد عن سعة او طاقته والا اصبح جانوتاً بضم آلاف الاصناف الموضوعة في غير ترتيب ولا نظام فيتمرد على صاحبه ان يضع يده على شيء خاص في الوقت الذي يجده له فيه شيئاً

فطبيعي اذن ان يهيء العقل لكل مؤثر جديد مكاناً لا تقا به بين المؤثرات القديمة

ويربطه بالبعث ويفصله عن البعض الآخر ثم يرتبها وينظمها حسب ما لها من الشأن بحيث يكون الهام منها الذي لا يستغنى عن تذكره الانسان لكثرة حاجته اليه دائماً في المقدمة وفي تناول يد العقل ، اما التافه منها او القليل الشأن والذي لا تكون في حاجة اليه في الوقت الحاضر او لن نكون في حاجة ماسة الي تذكره في المستقبل كالوجوه التي يمر بنا عفواً انتهاء السير في الطريق او البضائع المروضة في الحيوانات في المؤخرة فيلتي بها في حضيض النسيان ليفتح المجال للتأثرات الاخرى التي تكون اكثر منها شأناً

نكماً ان العقل لا يستقبل للتأثرات من الخارج عن طريق الحواس ويثبت آثارها ويربطها بسواها عن طريق الحفظ والتداعي والتكرار — وهي العمليات الثلاث للحفظ — هو كذلك يرتبها ويرتقها ويستبقى منها الهام ويحذف منها التافه حتى لا يتكدس بالمعلومات فيزيد عن طاقته الطبيعية ، وهذه العملية هي ( النسيان )

فليس النسيان اذن بالبعث الذي يسطو على خزائن العقل في غفلة من الشعور فيسلبه اعز ما لديه من تحف وذخائر . وهذا يذكرنا بالقول الاميركي « ليس العقل بالشاب الطائش الذي يبدد بشاره عن طريق النسيان ما يحبه يمينه عن طريق التذكر »  
فالنسيان اذن عملية عقلية طبيعية ايجابية لازمة للحياة العقلية لزوم التذكر والحفظ ، بل ينال بعض علماء النفس ويقول انها الزم من الحفظ

على ان الانسان يستطيع ان يثبت ما يحفظه فيقل نسيانه اذا لم يتشد على التكرار الآلى والذاكر الصماء قدر اعتماده على انهم ويربط ما يفوسه بأمور اخرى بينها وبين هذا الشيء شبه صلة بحيث يتكون منها شبكة مترامية الاطراف كلما خطرت واحدة منها في الذهن جرت الشبكة وراشا بكامل اجزائها الى مستوى الشعور فيسهل تذكره كله ؟ ويؤثر توزيع التكرار على دفعات متعددة تتخللها فترات من الراحة قد تكون اياماً كاملة بدلاً من الجلوس الى الشيء وتكراره مئات المرات لمحاولة حفظه دفعة واحدة ، فيحل في العقل التعب وتلكمك السأمه قبل ان يستظهره تماماً وحتى اذا استظهره ذلك اليوم نسي في الغد ، كذلك يجب ان يركز فيه انتباهه ويحصر فيه ميده ورجسته وان يخلق في نفسه الرغبة اذا اجرى على تعلمه

هذه كلها وغيرها وسائل لتنظيم الحفظ وتخفيف النسيان في المستوى المادي . وهناك حالات كثيرة من النسيان مختلف عن هذه تمام الاختلاف لانا نسي فيها اموراً هامة قد ترتب عليها مصالح حيوية يهنا ان لانفقدتها بسبب النسيان كأن ينسى الانسان موعداً ضربه لانجاز عمل او قضاء مصلحة او يضع شيئاً ثميناً حينها كان وهو واثق من انه لن يفقده فاذا اقتنعه عند الحاجة اليه نسي المكان الذي وضعه فيه او يكتب خطأً بموضوع هام

ويلقيه في جيب سترته مدة طويلة حتى ينساه ، أو يلقيه في صندوق البريد وينسى أن يلصق عليه الطابع ، أو ينحضر أوراقاً هامة يريد أن يستخدمها في الغد ثم يستبدل سترته وينسى أنه وضعها في السرة الاولى

هذه كل ظواهر مألوفة ولو انها غريبة في بنها يرجع النسيان فيها الى عامل نفسي هام هو التنازع بين رغبة خفية في النفس بمنعها العرف والذوق ومقتضيات المجاملة والشك ان يظهرها ، بينما تدفعها هذه العوامل ذاتها الى تذكرها واظهارها ولو على مضض منه ، ولا بد ان تغلب الرغبة الكامنة في كل حال فنحن نفقد شيئاً ثمناً اهداء صديق اليه ونسى ابن وضائه اذا لم تكن علاقتنا بهذا الصديق حسنة ، ونسى الموعد ان كنا لا نميل الى من ضربه او لشك في نتيجة المقابلة ونسى الخطاب اذا كنا نكره ان نشر في مراسلة الشخص المرسل اليه

وعريب اتنا في كل الاحيان نذكر ما هو في مصابحتنا ، ونسى ما كان في مصلحة الغير هذا النوع من النسيان تقتضيه الطبيعة للتفيس عن النفس ، ولاشباع الرغبات الكامنة بسض الشبح ، فهو في الواقع في مصلحة الفرد ولا داعي للخوف منه او محالته

ولكن هناك نوع آخر من النسيان هو من الخطورة بمكان ومن الواجب المبادرة لمعالجه لانه اذا ازمن كان سبباً في خلق اضطرابات عصبية وظيفية تدرج من مجرد الخوف من الظلام او الامكنة المغلقة او المرتفعات الى التشنجات العصبية والصرع ، ثم الجنون المسحي

تبنت طريقة التحليل النفسي الحديثة ان كل هذه الحالات سببها الاساسي حادثة مؤلمة او موقف خطير حدث للشخص من عهد بعيد ، واثارت في نفسه اضمالات نظمية اهمها الخوف واترت في جهازه العصبي وقت حدوثها بسض التأثير فاذا استمر الشخص يذكرها كما حدثت خف تأثيرها وبطل على عمر الايام ، اما اذا نسي بعد حدوثها بزمن قصير من تلفاء نفسه او ارغم نفسه على نسيانها ارغاماً خيل اليه انها انقطعت من سلسلة حياته ، وامتنعت عن تقييده وتكريره في حين انها تلتفت الى صميم عقده الباطن وارتبطت هناك مع ذكريات قديمة او حوادث اخرى مؤلمة ، وتكون منها عقدة عقلية كالتقيلة يحاول ان تفجر كلما اتاحت لها الفرصة لولا ان العقل الواعي يكتبها وهي بدورها تنهر الفرصة السانحة فتظهر في احلام التوم : او احلام البغظة (المرحان) ، وتدرج في القوة وتجرؤ على الظهور حتى نسب اخيراً نوعاً خاصاً من الاضطرابات العصبية . وانقطع هذه الحالات حوادث الطفولة بين الرابعة والسادسة خصوصاً اذا كان اساسها الخوف [ تخيص : سميرى نريد ]